الشيعة الإسماعيلية في اليمن
قراءة في نشأتها، تطورها، واقعها المعاصر

د. سفيان عثمان المقرمي
أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية المشارك، كلية الآداب، جامعة إب.

المقدمة:

الحمد لله الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم، والصلاة والسلام على سيدنا محمد أكرم مرسل وأطهر منسل.. وبعد:

شهدت اليمن في مطلع القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادى ظهور حركات سياسية إستقلالية ونزعات مذهبية تحاول كل منها الاستقلال عن الخلافة الام في بغداد مثلها مثل غيرها من ولايات الخلافة العباسيه، سواء في بلاد المشرق الاسلامى أو في بلاد المغرب وبلاد الشام.

وهناك عاملان شجعا على ظهور مثل هذه التحركات هما: -

- موقع اليمن الجغرافي، النائي عن عاصمة الخلافة بغداد، بالإضافة إلى ما يتميز به اليمن من وعورة تضاريسية، وتركيبه الاجتماعي القبلي المعقد، وهى عوامل ساعدت إلى حد كبير في إنجاح مثل هذه التطلعات. هذا من ناحية. ومن ناحية ثانية، فقد شهدت الخلافة قبيل هذه المرحلة وأثناءها نزاعاً مريراً بين قطبين من اقطابها تمثل بالصراع بين الأمين والمأمون، ابني هارون الرشيد من 193 حتى 198هـ وهذا الشقاق دفع العديد من أصحاب الأطماع لإعلان استقلالهم عن الخلافة بأكثر من صورة.

ومن ثم فإن هذه الدراسة تمثل جهداً ناجعاً في سبيل المعرفة والتقصي لشأن فرقة من فرق الشيعة التي لعبت دوراً مهماً في اليمن وهي فرقة الشيعة الإسماعلية.

وقد جاء هذا البحث في مقدمة وستة مباحث وخاتمه.

جاء المبحث الأول ليلقي الضوء على الشيعة والتشيع إجمالاً ونصيب اليمن منه، وخصص المبحث الثاني لتتبع الفرقة الإسماعيلية وكيفية ظهورها في اليمن، أما الثالث فقد أوضحنا فيه انشقاق القرامطة في اليمن عن الدعوة الأم في المغرب مع بيان سبب ذلك، ومن ثم إعلان طور الكشف وقيام دولة الإسماعيلية الاولى في اليمن تحت مسمى (دولة القرامطة الأولى).

في حين يحاول المبحث الرابع إضاءة مرحلة دخول الدعوة مرة أخرى طور الستر، والكشف عن

المؤثرات الخاصة لهذا التحول التاريخي والتمهيد كاشفاً على دخول الدعوة مرة أخرى طور الستر، والتمهيد لقيام الدولة الإسماعيلية الثانية والمعروفة بدولة الصليحيين.

ويختص المبحث الخامس ببيان كل ما يتعلق بفرق الإسماعيلية فرق الإسماعيلية من حيث التسمية والمبادئ، والممارسات وأوجه الاتفاق والاختلاف بين فرقها في اليمن...ألخ مع إيضاح أماكن تواجدها وعدد معتنقيها، واهم الحرف التي يزاولونها.

ويرصد المبحث الأخير أقوال العلماء والمؤرخين وكتاب الفرق عن هذه الفرقة، واعتمدنا ترتيبهم زمنياً من القديم حتى الحديث.. وقد حاولنا الاختصار ما أمكن إلى ذلك سبيلاً.

كما يغب عن البحث الإشارة إلى معتقد هذه الفرقة الإسماعيلية والمبادئ التي أعلنها أصحابها، ومدى قبولها المجتمع اليمني لهذا المعتقد من عدمه قديماً وحديثاً... ألخ معتمدين في ذلك على مصادر ومراجع ذات الصلة بالموضوع.

وأخيراً:

نرجوا أن يكون هذا البحث قد حقق الغرض الذي من أجله أعد، وان يسد مسداً في المكتبة العربية الإسلامية، وأن ينفع الله به ويجازي خيراً من كان سبباً في إعداده.

مدخل عام:

مصطلح الشيعة من حيث الدلالة اللغوية يشير الى كل من شايع وناصر وتابع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه[1]

تم تطور هذا المدلول اللغوي الى أن صار علماً على جماعة من الناس، لها معتقد فكري معين يقوم على مبدأ الإمامة.

وقد كان للإمام علي (رضي الله عنه) شيعة من اللحظات الأولى بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم إلا أن خليفتي رسول الله أبا بكر وعمر (رضي الله عنهما) اللذين كانا مثاليين في سلوكهما لم يدعا بأخلاقهما أي فرصة لأي أفكار معادية [2] معادية، لأن تظهر أو تنتشر، ثم جاء الخليفة الثالث عثمان بن عفان (رضي الله عنه) وجاءت السنوات الأخيرة من خلافته التي حملت معها شيخوخته، وعمله أشياء لم يسبق للخليفتين قبله أن عملاها، فبدأت حركات الشيعة تظهر وتقوى، ثم جاء عبد الله بن سبأ[3] وهو يهودي من اليمن الذي دخل الإسلام لا حب فيه، ولكن ليطعنه من الداخل، فذلك أيسر عليه من ان يحارب الإسلام وهو يعلن عدم إعتناقه.

ووجد بن سبأ نفوساً ثائرة على الخليفة تنتقد تصرفاته وتحتج عليها، ووجد كذلك آخرين يدافعون

عن الخليفة ويبررون تصرفاته، فاتخذ بن سبأ جانب المعارضة كونه – في نظره – أدعى لوهن الإسلام والمسلمين.

ويمكن القول أن هناك عملين هامين قام بهما ابن سبأ في تاريخ الشيعة هما:

1- كون بن سبأ من هؤلاء الثائرين جماعة بعد ان كانوا أفراداً متناثرين، وربط هذه الجماعة بحب آل البيت والتشيع لهم، رغبة في اكتساب عطف الجماهير.

2- أدخل ابن سبأ على تفكير الشيعة ألواناً من الآراء والفلسفات، وأدخل التعقيدات والإبهامات، وخلق الروايات ووضع الأحاديث، وبذر بذور الأفكار الضالة التي نسبت للشيعة فيما بعد، وتبعه في ذلك كثيرون من الذين عاصروه وممن جاءوا بعده وساروا على شاكلته، وساعده في ذلك جملة من العوامل أهمها:

ما ساد في فارس قبل الإسلام من نظرية الحق الإلهي المقدس التي تقضي بأن الأسرة المالكة تجري فيها دماء إلهية وهي بهذا صاحبة الحق في الحكم، وعلى الناس أن يسمعوا لها ويطيعوا، واختيار الملوك من هذه الأسرة واجب مقدس، فهم في نظرهم ظل الله في أرضه أقامهم على مصالح عباده، وليس للناس قبلهم حقوق، وللملوك على الناس السمع والطاعة[4].

وقد دخل الفرس الإسلام وهذه النظرية ثابته في عقولهم فرأوا لذلك أن اسرة الرسول صلى الله عليه وسلم هي الأحق بالحكم وعلى الناس أن يسمعوا لها ويطيعوا. وهكذا اندس بين الساخطين والثائرين كثيرون ممن غلب الإسلام على أمرهم أثناء حركة الفتوحات الإسلامية وبعدها؛ فأرادوا تهديمه والنيل منه، فتظاهروا بالدخول فيه ليمكنهم ذلك من الثورة على أولي الامر من المسلمين باسم الإسلام، حتى يتمكنوا من تهديم قواعده بالأحاديث الكاذبة التي وضعوها، وعلى رأس هؤلاء عبد الله بن سبأ سالف الذكر وكثيرون حذو حذوه. إلا أن أئمة الشيعة الحقيقيين تبرؤوا من هذه الأكاذيب والضلالات والأباطيل التي روج لها مدعو التشييع.

ويمكن القول أن فرق الشيعة الحقيقية تنحصر فقط في ثلاث فرق[5] أساسية استطاعت أن تعيش حتى العهد الحاضر بتطور واضح في اعتقاداتها، مع وجود نقاط تتفق وتختلف فيها هذه الفرق الثلاث وهي على النحو الآتي: الزيدية، الاثنا عشرية والإسماعيلية، (القرامطة) مع تطور في اعتقادات هذه الفرق بسبب اتصالاتها بمدعي التشييع، إلا أن هذا التأثير يختلف من فرقة إلى أخرى، فالزيدية أقلها تأثراً ويجيء بعدها الإثنا عشرية فهي بين الأولى والثالثة أما الإسماعيلية فأكثرها تأثراً وبالتالي أكثرها بعداً عن الشيعة الحقيقية لأسباب سنوضحها في هذا البحث الذي هو مخصص لهذه

الفرقة، مع العلم إن الاثنا عشرية والإسماعيلية فرعان لفرقة واحدة هي الامامية لاهتمامهم بمشكلة الإمام التي تستعملها هذه الفرقة ؛كونها في نظرهم، أوسع من كلمة خليفة، لأن الإمام عندهم في يده أمور الدين، وبهذا يلزم أن تسند إليه السلطة الزمنية في المملكة الإسلامية ويجمع بين أمور الدين والدنيا.

وكون أمور الدنيا – في نظرهم – غصبت من الأئمة وشغلها الخلفاء، وبذا بقيت أمور الدين في يد الإمام لم ينازعه فيها احد، كما بقي له لقب إمام دون أن يطلق على سواه، فأصبح الأئمة بذلك هداة روحانين وشفعاء[6]، مع العلم بأنه ورغم اختلاف فرق الشيعة في المعتقدات، فإنهم جميعاً يتفقون على معتقد هام، هو أفضلية علي على جميع الخلق، وهذا المبدأ مشترك بينهم جميعاً وهو بلا شك أثر من الآثار التي تركها مدعو التشييع في الشيعة الحقيقية، وهناك معتقد آخر يتفق عليه الإمامية أي(الاثنا عشرية والإسماعيلية) وذلك هو أن الإمامة (وتشمل هنا الخلافة أيضاً) خاصة بعلي ثم بأولاده من فاطمة، أي بالحسن فالحسين فأولاد الثاني[7]، ولا يجوز أن تكون الإمامة لغير هؤلاء، وإن صارت لغيرهم فهو سلب وغصب لحق ثابت من علي وأولاده، وإن رضي الأئمة بذلك إنما هو من باب التقية*.

أما الزيدية فلا يوافقون على هذا المعتقد بل يرون جواز إمامة المفضول مع وجود الأفضل، فمع أن علياً وأولاده أفضل الخلق إلا أن خلافة غيرهم جائزة.

الشيعة الإسماعيلية (القرامطة) في اليمن

تنتسب هذه الفرقة من فرق الشيعة الأمامية إلى إسماعيل بن جعفر الصادق.[8]

وتتفق هذه الفرقة مع الإثنا عشرية في تحديد الأئمة الستة الأوائل من أئمة الاثنا عشرية، وبعد جعفر الصادق يرون أن الإمامة انتقلت لا إلى ابنه موسى الكاظم كما يقول الإثنا عشرية، بل إلى ابنه إسماعيل، ولذلك يسمون الإسماعيلية، ويعرفون أيضاً بالقرامطة[9].

ويختفي أئمة الإسماعيلية من الظهور بعد إسماعيل ولا يظهر إلا دعاتهم، ولذلك يسمى الأئمة هنا (الأئمة المستورون)، ثم يعودون للظهور حينما يقوى شأنهم. وفرقة الإسماعيلية أكثر من الزيدية والاثنا عشرية تأثراً بضلالات مدعي التشيع لسبب واضح جداً هو استتارهم، ففي فترة الاستتار وجد مدعو التشيع – وفيهم عناصر يهودية – الفرصة سانحة ليتسلطوا على أتباع هذا المذهب فينشرون بينهم ضلالتهم، فلما ظهر الإسماعيلية بعد ذلك كان مذهبهم مشوباً بكثير من الضلالات

كونهم انفصلوا عن الإثنا عشرية بعد جعفر، ولذلك فليس لهم ماضٍ مستقل.[10]

مسميات ومعتقدات هذه الفرقة:

هناك مسميات كثيرة تطلق على فرق ترجع في أصلها إلى الإسماعيلية، ومن هذه الأسماء الباطنية (القرمطية) (الفاطمية) (الصليحية) (اليامية) (المكارمة) (النضيرية) (العلوية) (الحشاشين) (البهرة) ...إلخ[11].

وأشهر ألقابهم الباطنية، وإنما لزمهم هذا اللقب لحكمهم بأن لكل ظاهر باطناً، ولكل تنزيل تأويلاً، ولهم ألقاب كثيرة كما سبق وأن بينا. وهم يعتقدون بأن الإمام موجود ولكنه مستور. ويتحدث عنه دعاة، وعملهم هذا قبل أن يظهر الإمام، وحسب مصادر الإسماعيلية فإن الإمام الذي كان في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري هو الحسين بن عبد الله بن ميمون القداح[12]، وهو والد عبيد الله المهدي الذي اخترع نسبا مربوطا بالإمام السابع محمد المستور وهو مؤسس الدولة الفاطمية في القيروان سنة 297هـ بمسعى الداعية أبى عبد الله الشيعى.

وهناك أربع رسائل إسماعيلية كتبها أربعة من علية الدعاة الإسماعيلين، ونشرها حديثا باحث اسماعيلى اسمه عارف تامر، وهذه الرسائل كانت ضمن الذخيرة السرية للإسماعيلية، ولم يسمح بنشرها إلا في العصر الحديث وبجرأة لم يتعود عليها الاسماعيليون[13].

- وأول ما تبرزه هذه الرسائل هو مكانة الإمام الذي يسمونه (القائم)، أو(صاحب الزمان) ويعدونه من أولى العزم من الأنبياء النطقاء الذين يبلغ عددهم عند الإسماعيلية سبعة، وهم ادم، ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم والقائم. ويرون ان لكل نبي (أساساً) أي عمادا يعتمد عليه في تبليغ رسالته، والأسس عندهم سبعة، شيت لعيسى، وعلي لمحمد صلى الله عليه وسلم، أما أساس القائم فيقول عنه الناشر: أننا لا يمكننا إذاعة اسمه حرصا على سرية المعتقدات[14].

ولكل واحد من هؤلاء السبعة يوم من أيام الأسبوع، فأدم صاحب يوم الأحد، ونوح صاحب يوم الاثنين، وإبراهيم صاحب يوم الثلاثاء، وموسى صاحب يوم الأربعاء، وعيسى صاحب يوم الخميس، ومحمد صلى الله عليه وسلم صاحب يوم الجمعة، ثم يهتف الداعي الفاطمي احمد حميد الله الكرماني صاحب رسالة (أسبوع دور الستر) إحدى رسائل هذه المجموعة قائلا عن صاحب يوم السبت: أتى أمر الله فلا تستعجلوه..واستقر الوقت لصاحب يوم السبت، القائم في الأرض مقام

العقل في عالمه[15].

وهكذا فإن الإسماعيلية قائمة على عقيدة فلسفية متطورة وهى تعتمد الباطن على الظاهر، وتعتبر الباطن هو الحقيقة وهو ما يحيا به الخواص، والظاهر هو الشريعة وهو ما يسير عليه العوام وانه لا ظاهر إلا وله باطن. ومن هنا أن تأويلهم الباطني – والقول لأستاذنا الشجاع – لكل مبادئ الإسلام جعلهم يخرجون بعقيدة خاصة بهم ذكرتها كتبهم... هذه العقيدة شاملة للألوهية والتوحيد والوحي والنبوة والرسالة والإمامة سواء أئمة الستر أو أئمة الظهور وعصمتهم واليوم الآخر والبعث والحساب والجنة النار ونظرتهم لشيوع المال والنساء.

وهذا الغموض في عقائدهم واعتماداً على ما جاء في كتبهم المعتمدة عندهم يخرج الباحث بأنهم يحملون عقيدة خاصة بهم تقوم على فلسفة فارسية زرادشتيه ويونانية قديمه وهندية، بالإضافة الى الأفكار اللاهوتيه اليهودية والنصرانية.

أما رجوعهم الى القرآن فلا يعنى شيئاً يفيد التزامهم به "فليست تعاليم القرآن كلها إلا صوراً للحض على طاعة الإمام طاعة تامة" والمؤمنون الحقيقيون هم أولئك الذين يؤولون الوحي الإلهي على هذا النحو، وأما الذين يأخذون القرآن والسنة على ظاهرهما الحرفي فلا يستحقون أن يسموا مسلمين، بل هم حمير كافرون "[16].

ظهور الإسماعيلية في اليمن : وقيام الدولة الإسماعيلية الأولى (القرامطة):

كانت اليمن في هذه الأثناء بالتحديد وبحكم موقعها الجغرافي والنائي عن عاصمة الخلافة العباسية ومركزها بغداد، وعلاوة عن كونها تتميز عن غيرها من بلدان العالم الإسلامي بوعورة تضاريسها ونظامها الاجتماعي المتميز وتركيبتها القبلية المعقدة.. لكل ما سبق كانت اليمن مطمعاً لكل صاحب مذهب ومطمحاً لكل صاحب مطمع شخصي أو سياسي.

وإذا كانت الإسماعيلية تعد من أوائل الفرق ذوات الأطماع السياسية التي ترمي إلى إقامة دولة منفصلة ومستقلة عن الخلافة العباسية فقد وجدت في اليمن للأسباب السالفة الذكر مكاناً مناسباً لإقامة هذا الكيان، وإن كانت قد رغبت عن هذه الخطة واستبدلتها بخطة أخرى لإقامة الدولة الإسماعيلية في المغرب ويعزى السبب في ذلك لعلم قادة هذه الفرقة بأن الزيدية في اليمن قد سبقتهم إلى ذلك وأرست جذورها في ربوع اليمن، إلا إنهم ورغم ذلك لم يستبعدوا اليمن من هذه الخطة لإعتبارات عدة، منها : إما لتكون بديلاً احتياطياً، وإما لفتح جبهه أخرى تشغل مناوئيهم عن تحركاتهم في بلاد المغرب، وإما لاحكام القبضة على الخلافة العباسة من مغربها ومشرقها في آن

واحد.[17]

وتنفيذاً لتحقيق هذا الهدف في اليمن فقد سارت الإسماعيلية بخطوات مدروسة بدءاً بدور الستر والإعداد الدقيقين، ثم دور الاعلان والظهور فيما عرف عنهم بالفاطميين ليمدوا نسبهم إلى آل البيت، أما مخالفوهم فيسمونهم ((بالعبيديين)) نسبة إلى عبيد الله المهدي.. ثم جاء دور آخر وهو إعلان التوجه أو الكشف الذي كشف الباطن والذي عرف بمذهب القرامطة.. ثم دور الستر مرة أخرى.[18] والأدوار التي مرت بها هذه الدعوة في اليمن في مرحلتها المبكرة هي على النحو الاتى:

أولاً: دور الستر والإعداد:

وأولى هذه الخطوات هى الإعداد الدقيق القائم على السرية ودغدغة عواطف الشيعة (الاثني عشرية) الذين استقطبوا الكثير منهم إلى فكرهم، وبذا كانت النواة الإسماعيلية الأولى في اليمن في أوساط الشيعة (الاثني عشرية) التى استقلت وانفصلت عنها الإسماعيلية كما مر معنا، وكانت كلٌ من (عدن أبين)[19]، الواقعة في الجنوب الشرقي من اليمن، (وعدن لاعة) الواقعة في الشمال الغربي من اليمن، ومن هاتين المنطقتين خرجت الإسماعيلية.[20]

وتكاد تتفق المصادر المناوئة للإسماعيلية والمؤيدة لها إلا أن ترتيبا سريا جرى لإرسال على ابن الفضل من اليمن إلى العراق لمقابلة قادة الإسماعيلية هناك ليعرف ما ينبغي عليه أن يفعله، وقد كان ابن الفضل هذا شيعيا اثنا عشريا قبل أن يتحول إلى الإسماعيلية، وهناك قابل ابن الفضل الحجة أو الداعي أو الحجاب حسب المصطلحات الإسماعيلية وهو الحسين بن عبد الله بن ميمون القداح السا لف الذكر عام 266هـ/ 879م والذي كان في انتظاره، فجمع بينه وبين الحسن بن فرج بن حوشب المكنى بابي القاسم المعروف بمنصور اليمن وزودهما بالتعليمات اللازمة بعد أن نالا قسطاً من التربية والإعداد لأنهما لم يبعثا إلى اليمن إلا بعد عامين من مقابلة الداعية الاسماعيلى أي في عام (881/268) فا ستقر ابن الفضل في الجنوب الشرقي من اليمن، بينما سار ابن حوشب إلى الشمال الغربي، ومن المرجح أن هذا التوزيع تم باتفاق مسبق.[21]

وكانت مدة هذه المرحلة – مرحلة الستر والإعداد قرابة عشرين عاما – ومن أهم معالمها: السرية التامة والتمسح بمسوح الدين، إظهار الزهد والتعبد والتنسك تقربا إلى قلوب الناس، تظاهرهم في الرغبة باعتزال الناس ولا يسمحون بمقابلتهم إلا لمريديهم. وهكذا تمكنوا بهذه الأساليب من سلب عقول الناس ومنحهم ثقتهم، فأصبح لهم وجود ظاهر في حياتهم وخاصة فيما يتعلق في حل المشاكل بين السكان، وأصبحوا بهذا العمل وهذه الثقة وجهاء يرجع إليهم في المنازعات، ومن

خلال إقبال الناس عليهم وتجمعهم من حولهم دفعوا بهم إلى بناء الحصون حتى قويت سواعدهم، وإذا بهم يصطدمون بمن حولهم من القوى القبلية، أو ذات الولاء للدولة العباسية، ولضعف هذا الارتباط سهل عليهم التغلب عليها بسرعة وضمها إلى سيطرتهم، ولكن لم يصلوا إلى هذه النتيجة إلا بعد حوالي اثنين وعشرين عاما أي من عام 268ه حتى 290هـ[22]، وهو العام الذي أعلن فيه قيام دولتهم الأولى المعروفة :ب (دولة الإسماعيلية الأولى أو دولة القرامطة) تمييزا لها عن الدولة الإسماعيلية الثانية المعروفة بدولة الصليحيين الآتي ذكرها.

ثانياً : دور الكشف (إعلان الظاهر)

بدأ هذا الدور عام 290هـ / 902م في اليمن وهذه يصادف الوقت الذي أعلن عنه في بلاد المغرب، وكان على الإمام عبيد الله المهدي أن يتوجه إلى اليمن، ولكنه فضل المغرب للعوامل التي سبق ذكرها مما جعل إسماعيلية اليمن وعلى رأسهم على ابن الفضل يستاؤون من هذا التغيير في سياسة الإسماعيلية ويعلنون الانشقاق عنها مكونين فرقة خاصة بهم عرفت باسم القرامطة[23].

وهكذا كان إعلان أمر الدولة الإسماعيلية (القرامطة) يمثل طوراً جديدا من أطوارها في اليمن ويعد علي بن الفضل وبن حوشب زعيمي هذه الدولة مذ نشأتها في هذه المرحلة، وعملاً جاهدين في الاستيلاء على الحصون المنيعة لكي تكون منطلقاً للانقضاض على القوى القبلية أولاً بأول .

وتمكن الاسماعيليون (القرامطة) من بسط نفوذهم على رقعة واسعة من اليمن في غضون ثلاث سنوات كلٌ من المنقطة التي أتخذها منطلقاً لتحركاته، فعلي بن الفصل استطاع أن يتغلب على كل القوى المحيطة به التي لم تقو على مقاومته، بينما لم يتمكن صاحبه ابن حوشب أن يحقق نفس النجاح الذي حققه بن الفضل بسبب وعورة تضاريسها وشدة مراس أهلها، ناهيك عن وجود دولتين قريبتين منه هما : اليعفرية ذات الارتباط بالدولة العباسية، والهادوية ذات الهوية الزيدية، اللتين واجههما ابن الفضل حتى تمكن من دخول صنعاء عام 293هـ/905م، والأكثر من ذلك فقد أراد ضم المنطقة الغربية من اليمن فاكتسح مدن تهامة كلها رغم معارضة رفيقه ابن حوشب لهذا الإجراء. وبعد هذا النصر الذي حققه ابن الفضل قرر أن يتخذ لنفسه خطاً غير خط الإسماعيلية العام، وبدأ طوراً جديداً وهو المعروف بطور (كشف الباطن) أو ما يعرف بالقرامطة، وكان يطمع بن الفضل أن يكون هو ورفيقه بن حوشب (منصور اليمن) يداً واحدة في هذا الاتجاه، ولكن الأخير كان أكثر التزاماً بالخط الذي تسير عليه قيادة المغرب للحركة الإسماعيلية[24].

ويمكن أن نجمل الأسباب التي أدت إلى إظهار الباطن وتولى ابن الفضل هذا الدور فيما يأتي :

- الشقاق والانشقاق الذي حصل في القيادة الإسماعيلية نفسها وأسفر عن قتل أبي عبد الله الشيعي عام 298هـ بسبب تشكيكه في شخصية عبيد الله المهدي.
- الغرور القبلي الذي صاحب علي بن الفضل من جراء نشوة النصر الذي حققه.
- إقدام أبي سعيد الجنابي في البحرين على مثل هذه الخطوة عام 286م 899م والمستندة على أسس مذهبية إسماعيلية فكانت دافعاً لابن الفضل للأقدم على هذه الخطوة.

ومعروف بأن المذهب الاسماعيلي باطني الأفكار ويحمل أفكاراً لها ظاهر وباطن، وأن هذا الباطن لا يعلم تأويله إلا الإمام، أما النبي فيختص بالتفسير للظاهر فقط، يبقى الباطن مستوراً إلى أن يسمح بعض قيادتهم على كشفه. ويمثل أبو سعيد الجنابي صاحب البحرين وابن الفضل هذا الجناح القرمطي الذي أراد كشف الباطن والعمل به. إذ أن القرمطة هي جزء من الإسماعيلية ولا فرق بينهما، إلا أن القرامطة هم أكثر حماساً لتطبيق مبادئ الاسماعيلية غير المكشوفة للناس التي هي مستمدة من عقيدة فلسفية كما يقول أتباعها.(25)

ويمثل دور كشف الباطن بالنسبة لإسماعيلية اليمن مظهراً من مظاهر الصراع الدامي الذي حصل بين ابن الفضل ورفيقه ابن حوشب بين عامي 297هـ، 298هـ رغم محاولة عبيد الله المهدي (الفاطمي) لإيقاف هذا الصراع بين الرجلين ،سعياً منه لوقف توجه كشف الباطن، لكن جهوده لم تنجح في ذلك لأن رسوله وصل الى اليمن وقد أظهروا الباطن ولا سبيل الى رأب هذا الصدع.(26)

ولعل أبرز ما حدث في هذا الطور (طور كشف الباطن) في عهد علي بن الفضل هو ما أثارته المصادر غير الإسماعيلية حول هذا الرجل، إذ اتهمته هذه المصادر بثلاث تهم خطيرة وهي :

ادعاء النبوة، إسقاط الفروض الإسلامية، واستباحة المحرمات.(27)

فالتهمة الأولى المتعلقة بادعاء النبوة لعلها نسبت إليهم لما ورد في عقيدتهم التي تضمنتها كتبهم ،كونهم يضفون على أئمتهم القدسية والعصمة حتى جعلوهم أفضل من الرسل، ويعدون أمامهم محمد بن إسماعيل سابع الرسل (آدم، نوح، ابراهيم، موسى، عيسى، محمد بن عبد الله، محمد بن إسماعيل).(28) أما بالنسبة للتهمة الثانية وهي إسقاط الفرائض الإسلامية وتأويلهم لها تأويلات عجيبة يخرجونها عن مفهومها المعروف عنها في الكتاب والسنة إلى صورة أخرى حيث جعلوها رموزاً لطاعة الإمام والولاء له.(29)

أما التهمة الثالثة وهي استباحة المحرمات: فأن كتبهم تشير إلى ذلك ومن ضمنها مصطلحات (قائم

القيامة أو ليلة الإمام) و(ليلة الإفاضة) و(التشريق) وكلها مصطلحات تعني إباحة كل شيئ وإن كانوا يحددونها بيوم بعينه.[30]

ويمكن القول أن ما نسب إلى علي بن الفضل لم يكن محض افتراء، وإنما هو إظهار للعقيدة الباطنية، وان كان مفكرو الإسماعيلية قد اشترطوا شروطا معينة ينبغي تحققها قبل الوصول إلى هذه المرحلة، إلا أن القرامطة استعجلوا الأمر وقاموا بكشف الباطن، وهذا العمل شكل إحراجاً للدولة الفاطمية القائمة بالمغرب، مما حدا بها إلى المسارعة بالتنديد بهم والتبرؤ منهم، مع العلم بأن هذه الممارسات التي استنكرها الفاطميون في هذه المرحلة ظهرت بشكل جلي وواضح أيام الخليفة الفاطمي الحاكم (ت 411هـ).

نهاية الدولة الإسماعيلية الأولى (القرامطة) في اليمن

نظراً للانتصارات التي حققها ابن الفضل في اليمن لإقامة دولة القرامطة ودخوله في صراع مع القوى المعاصرة له من مثل : الهادوية، اليعفرية، بني زياد بالإضافة إلى القوى القبلية الأخرى ..هذا من ناحية، ومن ناحية ثانية، فإن ما قام به ابن الفضل من ممارسات كتلك التي أخذت عنه من مجاهرته لتطبيق المبادئ الباطنية التي سبقت الإشارة إليها، كل ذلك كان سبباً في تشكل تحالف تلقائي داخل اليمن تسلم قيادتها اسعد بن أبي يعفر الحوالي بغرض سحق هذا الكيان الإسماعيلي، (القرمطي) وتمكن هؤلاء فعلاً في القضاء على ابن الفضل وإسقاط دولته وعاصمته (المذيخرة) بين عامي (303- 304هـ / 915- 916م).[31]

أما ابن حوشب فقد كانت نهايته في عام 308هـ / 920م تحت ضربات اليعفريين والزيدية،[32] وتبع ذلك تراجع ابنه (الحسن) عن المذهب الإسماعيلي، ثم توالت الضربات والملاحقات على أتباع هذا المذهب، مما حدا بمعتنقي هذا المذهب إدخاله طور الكتمان والسرية من جديد، ثم تحقق له الظهور مرة أخرى مطلع القرن الخامس الهجري، ممثلاً بالدولة الصليحة (439هـ/1047م) وهي المعروفة بالدولة الإسماعيلية الثانية التابعة للدولة الفاطمية في مصر.

الدولة الإسماعيلية الثانية في اليمن

الدولة الصليحية 439/532هـ

مرت الدعوة الإسماعيلية في اليمن في المدة الواقعة ما بين وفاة ابن حوشب 303هـ وهو تاريخ سقوط دولة القرامطة – كما مر معنا – ووفاة سليمان الزواحي المقدرة بحوالي مائة وعشرين عاماً بحالة من التستر والغموض وعدم قدرتها على الظهور، وهي الحالة التي تذكرنا بالمرحلة التي مرت

بالدعوة سابقاً في الفترة الواقعة بين وفاة إسماعيل بن جعفر الصادق ونجاح حوشب وابن الفضل في إقامة أول دولة شيعية في بلاد اليمن عام 268هـ، وما طرأ على الدعوة بعد سقوط الخلافة الفاطمية في مصر، وضعف الدعوة في اليمن بعد وفاة الملكة السيدة الحرة 532هـ كما سيأتي معنا.

إلا أن أهم ما يميز هذه المرحلة من التستر هو أنها كانت زاخرة بالإنتاج العقلي لأصحاب الدعوة، وأسهمت اليمن بنصيب غير قليل من الأدب الإسماعيلي الذي يعزى إلى جعفر بن منصور اليمن.[33]

ظهور الصليحي:

انتهى أمر الدعوة الإسماعيلية في بلاد اليمن إلى رجل من شبام يقال له عامر بن عبد الله الزواحي كان ذا مال وفير سخره لخدمة المذهب الاسماعيلي، وكان في حراز، في الوقت قاضي سني المذهب، له طاعة بين رجالها وهو محمد ابن علي الصليحي[34] وهو والد الداعي علي بن محمد الصليحي.

فأخذ الزواحي يلاطفه ويركب إليه لما له من سؤدد ورئاسة وصلاح[35] ؛ حتى نجح في استمالة قلب ولده علي وهو يومئذ دون البلوغ، لما توسم فيه مخايل الذكاء والنجابة، فأخذ يعلمه فقه الأئمة وأصول المذهب. ولما توفى الزواحي أوصى بكتبه وعلومه إلى علي ابن محمد الصليحي فأخذ في درسها ومذاكرتها ولم يبلغ الحلم حتى كان قد عرفها، وأصبح كما قال عمارة : (عالماً فقيهاً في مذهب الدولة متبصراً في علم التأويل).[36]

وما أن أهلَّ عام (439هـ، 1047م) حتى كان علي بن محمد الصليحي قد نجح في إظهار الدعوة للفاطميين في اليمن تحت مسمى (**الدولة الصليحية**) التي تنسب إليه، وشكل بهذا الحدث بداية تحول جديد في تاريخ اليمن والمنطقة الشرقية حتى سواحل الهند الغربية، وأتبع ذلك بالسير إلى تهامة ويأخذها من بني نجاح السنيين، واستحق بذلك أن يعده المؤرخ المقريزي(أحد ثوار العالم).[37]

مما دفع بالخليفة الفاطمي المستنصر أن يرسل إليه الرايات ويكتب إليه الألقاب وعقد له الولاية على جميع اليمن، ولقبه بأعلى الألقاب مثل: السلطان – الأجل – الملك الأوحد، أمير الأمراء، عمدة الخلافة، تاج الدولة..إلخ

وفي عام 454/ 1062م افتتح مدينة عدن وقدمها صداقاً لسيدة بنت أحمد عند زواجها من ابنه

المكرم. وأجمع المؤرخون على أنه لم يأت عام (456هـ / 1064م) الا وكان الصليحي قد استولى على اليمن سهله ووعره، بره وبحره، واستقر له ملك اليمن بأجمعه، واتخذ من صنعاء عاصمة له، وعلق مؤرخ اليمن المعاصر لهذه الأحداث عمارة اليمني بقوله : "أن هذا أمر لم يعهد في جاهلية ولا في إسلام.."(38)

وبرزت حينئذٍ شخصية يمنية مهمة لعبت دوراً مهماً في تاريخ العلاقات بين الدعوة في اليمن ومصر وهي شخصية القاضي لملك بن مالك الحمادي الذي ذكره المؤرخ اليمني ابن سمرة الجعدي بأنه.. أحد قضاة ذي جبلة وإب.(39)

ولعل أهم ما قام به هذا الرجل هو نقل تراث الأدب الإسماعيلي الذي كتب في مصر وفارس إلى اليمن ؛ خوفاً عليه من الضياع حينما ضعفت هيبة الخلفاء في مصر، وكانت اليمن هي الآمنة لذلك، بسبب القوة الساسية للصليحيين، ووجد هذا الأدب طريقه في النهاية إلى إقليم كجرات على الساحل الغربي للهند عام 1537/944م بعد احتلال العثمانيين لليمن وانقسام الدعوة الى دواودية انتشرت في الهند وسليمانية بقيت في اليمن – كما سيأتي، وما زال هذا التراث موجوداً في الهند الى يومنا هذا عند طائفة البهرة.

الإسماعيلية في اليمن بعد وفاة الصليحي:

بعد مقتل علي الصليحي على يد النجاحيين السنيين حكام زبيد عام (459هـ 1067م) طلب الخليفة الفاطمي المستنصر من القاضي لملك بن مالك الحمادي أن يعود بسفارة الى اليمن من مصر عام (1068/460م) تقضي هذه السفارة بإقامة الملك المكرم خلفاً لأبيه في الملك وأن يتولى القاضي لملك بنفسه الإشراف على الدعوة، وذلك لكي يتفرغ المكرم للسلطة السياسية في اليمن.

وظل المكرم مقيماً في صنعاء حتى عام (1074/467م). وهو العام الذي تولت فيه زوجته سيدة بنت أحمد الصليحي❖ أمر الدولة وطلبت منه أن ينقل العاصمة من صنعاء إلى جبلة كونها تقع في منطقة الوسط بين اليمن الأعلى واليمن الأسفل ثم انفردت بأمر اليمن بعد وفاة زوجها المكرم عام (477/ 1084م) وأصبحت بيدها السلطة الحقيقية يعاونها رؤساء الدعوة بقيادة القاضي لملك بن مالك الحمادي.

وتعد السيدة الحرة من النساء القلائل اللاتي تولين الحكم في العصر الإسلامي، وهي السيدة الثانية في تاريخ اليمن التي تولت أمر مملكته بعد الملكة بلقيس ملكة سبأ. وقامت السيدة الحرة بأمر الدعوة والملك في اليمن والجهات المضافة إليها من الهند و السند وعمان، وبلغت السيدة الحرة منزلة عظيمة

لدى الإمام الفاطمي المستنصر الذي رفعها من حدود الدعاة إلى مقامات الحجج.[40]

وكان الانقسام المذهبي والسياسي الذي، نال من الدولة الفاطمية في مصر بعد موت الخليفة المستنصر سنة 487هـ/1094م ؛إذ انقسمت الشيعة الإسماعيلية تبعاً لذلك إلى فرقتين: إسماعيلية نزارية تعتقد بإمامة نزار بن المستنصر وتطعن في إمامة المستعلي، وإسماعيلية مستعلية يرون صحة إمامة المستعلي ومن قام بعده وقد أدى هذا الانقسام بحكم تبعية الدولة الصليحية في اليمن للدولة الفاطمية في مصر إلى انقسام داخل الدولة الصليحية في اليمن إذا قامت السيدة الحرة بإظهار الدعوة في اليمن إلى الإمام المستعلي ثم لابنه الآمر بعد وفاة أبيه عام (495/1101م) إلا أن السيدة الحرة أبدت عدم طمأنينة لسياسة الدولة الفاطمية في هذه الأثناء ، وتحينت الفرصة للانفصال عن الدعوة الفاطمية في مصر، وقد تسنى لها ذلك في أعقاب وفاة الإمام الفاطمي الآمر بأحكام الله واغتصاب الحافظ لحقوق الإمام الطفل الطيب بن الآمر التي ترى الفرقة المستعلية في اليمن وعلى رأسها سيدة بنت أحمد : أن الطيب قد استتر خوفاً من عبد المجيد ابن عم أبيه الذي أستأثر بالخلافة دونه وتعتقد الإسماعيلية المستعلية (البهرية) أن الطيب ابن الآمر لا يزال مستتراً من ذلك الحين، وإنهم يعيشون دور الستر وإلى أن يحين زمن ظهوره.. وقد جعلوا له نواباً (أئمة مطلقين) يقومون نيابة عنه بزعامة الطائفة.

وكان أول من تقلد هذا المنصب في اليمن هو الإمام المطلق الداعي الذؤيب بن موسى الوادعي الهمداني عام 520هـ في عهد السيدة الحرة، والذي مثل آخر دور الظهور في الدعوة الإسماعيلية وبداية مرحلة الستر فيها.

إنقسام المستعلية إلى داودية وسليمانية:-

تعاقب الأئمة المطلقون بعد الذؤيب حتى كان الإمام السادس والعشرون (قطب شاه) وبعده انشطرت الإسماعيلية المستعلية إلى شطرين: فمنهم من أيد الإمام المطلق داهود قطب شاه، واعتبروه الإمام الشرعي رقم (27) فسموا بـ(الداودية) (البهرة) ومنهم من قال بإمامة سليمان بن حسن وإعتبروه الإمام المطلق رقم (27) وسموا بـ(السليمانية) (المكارمة).

البهرة (الداودية) والمكارمة (السليمانية) في اليمن:-

الفرق بينهما: اشتهرت الإسماعيلية في اليمن باسم المكارمة[41] بصفة عامة، وصار الناس لا يميزون بين البهرة الداودية وبين السليمانية المكارمة، بل غالباً ما يطلقون اسم المكارمة ويريدون به طائفة البهرة ذات الزعامه الهندية، والأمر ليس كذلك، فالمكارمة السليمانية مرتبطة بالزعامه الدينية

المتواجدة حالياً في نجران، واسم المكارمة لا وجود له في التاريخ الإسماعيلي على حدود ما نعلم، بل عرف هذا الفصيل بـ(السليمانية) في جميع التواريخ، ويتركزون في اليمن في شرق حراز الى جانب إخوانهم البهرة الدود، غير إن عددهم أقل من الدود البهرة، وشوكتهم ضعيفة نسبياً، ولا يختلفون عن إخوانهم الدود في الثراء والتجارة، وقد ظهرت بين الفصيلين عداوة تنظيمية لا سيما في الآونه الأخيرة.(42)

فالمكارمة الذين لم يعرف عنهم القيام بالطقوس الشركية علناً أمام الأضرحة والسجود للإمام كما يفعله الدود، يشعرون بالضيق والحرج من المجتمع الذي يسخط لهذه الممارسات، ولذلك فالقطيعة بين المكارمة والدود شبه قائمة، واللعن بينهم متبادل، ما عدا ذلك فالجميع على منبع واحد وعقيدة مشتركة، ولا فرق بين الطائفتين.

عدد كل من الطائفتين ومراكز تجمعهما في اليمن:

يقدر عدد الطائفتين في حراز بنحو(7500) نسمه من إجمالي عدد سكان مديرية حراز البالغ نحو (700.000 نسمه) بناء على تعداد الجمهورية اليمنية لعام 1994م.

منهم حوالي ((6500)) في شرق حراز ((4500)) منهم دود بهرة ،ونحو ((2000)) منهم مكارمة سليمانية أو بهرة سليمانية، كما يطلق عليهم في التاريخ الإسماعيلي. وللمكارمة بعض القرى في صعفان التابعة لحراز، وعراس من قضاء يريم، وفي (يام) شمال اليمن.

ويضاف للدود حصن (طيبة) من قبيلة همدان شمال العاصمة صنعاء، وللدود تمركز ملحوظ في بعض عواصم المدن اليمنية : كصنعاء وعدن وتعز والحديدة، ففي عدن شارع خاص باسم (البهرة) وفي صنعاء: شارع السلام وبعض الحارات في نقم، وجبلة في محافظة إب، وفي زبيد، وحوث في همدان، ولهم تواجد في بعض المحافظات الجنوبية إلا أن عددهم هناك ما يزال غير معروف.

ويصل إجمالي الإسماعيلية في اليمن على التحقيق نحو أربعين ألف نسمة في عصرنا الحاضر.

وللإسماعيلية في بعض المدن مساجد مستقلة سرية على شكل بيوت لا يدخلها سواهم ولا يهتدي إليها غيرهم، كما لهم مراكز تدريس، مثل: مدرسة الدعوة في مناخة وفيها قرابة (130) طالباً حالياً، ومدرسة بيت الدعوة في الحطيب في حراز، والمدرسة البهرية في صنعاء ولها فروع.(43)

وتعتد مهنة التجارة والاستثمار العقاري، والصناعي، والتركيز على محلات الصرافة وغيرها من المجالات ذات العائد المضمون والربح الغزير من أشهر ما تمارسه هذه الطائفة داخل اليمن وخارجها، مما جعلها من أكثر الطوائف الإسماعيلية غنى، إن لم تكن هي أغناها على الإطلاق، كما لهم

تأثير ملموس في اقتصاد البلدان المتواجدة فيها ولعل أشهر زعمائهم الأثرياء هو (محمد برهان الدين) الذي يقدر دخله في العام الواحد بنحو (220) مليون دولار على أضعف تقدير، كما استطاع شراء وإنشاء أكثر من عشرين مصنعاً في الهند وباكستان وغيرهما، علاوة على الفنادق الضخمة مثل : فندق (امبيسدر أتيل) وفندق (سند زهاوس) بوبي، وشراء مصنع المياه الغازية في بومباي، ناهيك عن متاجرته بالذهب الذي يهربونه هو وأفراد عائلته من أفريقيا وسيلان، واستطاعوا تهريب ملايين المجوهرات والأحجار الكريمة.(44)

قوال العلماء والمؤرخين في هذه الفرقة عبر التاريخ:

ونوجز في هذه الأسطر خلاصة لأقوال العلماء والمؤرخين الذين سطروها في كتبهم عن هذه الفرقة، وبحسب التسلسل الزمني وعلى النحو الآتي: -

- العلامة محمد بن لمك الحمادي (ت 456هـ) في كتابه كشف أسرار الباطنية (هذا ما اطلعت عليه من كفرهم وضلالتهم).
- وقال الإمام احمد بن سليمان (ت 566هـ) في كتابه: الرسالة المتوكلية في هتك أستار الإسماعيلية (...فلا يعرف عن أحد من أرباب المذاهب وعلماء الإسلام أنه توقف عند تكفيرهم، ولا شك في إلحادهم وزندقتهم)
- وقال العلامة مؤرخ اليمن نشوان الحميري (ت 573) في شرحه لرسالته الحور العين ص 254,253: والقرامطة عند أهل اليمن عبارة عن الزندقة.
- وقال الإمام والمؤرخ عمر بن سمرة الجعدي (ت 586) في كتابه طبقات فقهاء اليمن ص 76,75 يصف فتنة القرامطة في اليمن ويذكر علي بن الفضل بقوله: لعنه الله ثم يذكر الشعر الذي يدعي فيه ابن الفضل النبوة، وتحليله للمحرمات.
- وقال الإمام عبد الله بن حمزة (ت 614) في المجموع المنصوري ص 311.. وإلى مثل ذلك ذهبت الباطنية الملاحدة، وكفرها بذلك جميع الزيدية وكافة الأمة.
- وقال المؤرخ عبد الباقي بن عبد المجيد (ت 743) في كتابة بهجة الزمن ص 54.. فلما صار ابن الفضل بصنعاء اظهر دينه الخبيث ومذهبه القبيح، وادعى النبوة.
- وقال علامة اليمن الإمام الحافظ محمد بن إبراهيم الوزير (ت 840هـ في كتابه: إيثار الحق على الخلق ص 129 : وأفحش ذلك وأشهره مذهب القرامطة الباطنية في تأويل الأسماء الحسنى ثم قال وقد جعلوا تأويلها كلها: إمام الزمان، وهو المسمى الله.. ثم قال فكما إن كل مسلم

يعلم أن هذا كفر صريح، وافق ذلك مذهب القرامطة.

- ووصفهم الإمام المهدي أحمد بن يحيى المرتضى (ت 840) في مقدمة كتابه : البحر الزخار ص 41 (والباطنية في الحقيقة خارجون عن الإسلام، لكن انتحلوه ظاهراً فعدوا في فرقة، ولا يكاد يعرف مذهبهم لتسترهم..)
- وقال العلامة صالح بن مهدي المقبلي (ت 1108) في كتابه المنار، وأقول: ومن أحق ما يحرق ويمحق كفر نحلة ابن عربي وما شابهها من الإسماعيلية وغيرهم.
- وذكر القاضي محمد بن علي الأكوع رحمه الله في مقدمة كتاب الحمادي الذي قام بنشره ص 18 : إن الإمام المتوكل أحمد بن الامام المنصور علي استولى على معقل شبام حراز للباطنية، وأوصل كتبهم إلى حضرة الإمام شيخ الإسلام محمد بن علي الشوكاني (ت 1250هـ)، واطلع عليها فقال لما رآها: ما على الأرض كفر أشد من كفرهم...

وذكر القاضي والمؤرخ حسين بن أحمد العرشي في كتابه بلوغ المرام ص 22 عن هذه الفرقة الباطنية قوله: .. وتراهم إذا وجدوا بأنفسهم قوة أظهروا أمرهم، وأعلنوا كفرهم، فإن غلبوا ولم تساعدهم الأيام، كمنوا كما تكمن الحية في جرها، وهم مع ذلك يؤملون الهجوم والوثبة.

خاتمة البحث

خلصت هذه الدراسة الى مجموعة من النتائج والتوصيات، منها ما ورد في ثنايا هذا البحث، ومنها ما نورده هنا و على النحو الآتي:

- أن الإسماعيلية ومنذ ظهورها في اليمن إستطاعت أن تنتقل من طور الدعوة الى إقامة الدولة تحت مسمى الدولة الإسماعيلية الأولى (القرامطة) والدولة الإسماعيلية الثانية (الدولة الصليحية)، ونظراً لاظهار القرامطة لمبادئ هذه الفرقة وعقائدها فقد توحدت جميع القوى اليمنية في مواجهتها وأسقطتها في وقت مبكر من قيامها 303هـ والسبب في ذلك مجاهرتهم بانتهاك الشرائع وتحليل المحرمات وغيرها مما ورد في ثنايا البحث.
- اتضح من خلال البحث أن مذهبهم شتات من أفكار ونظريات متباينة وهي نتيجة من نتائج تأثرهم بالفلسفات الوثنية القديمة، من مثل قولهم بنظرية الحلول والتناسخ، والرجعة وهي مأخوذة من الفكر الهندوسي والبوذي.
- ظهر وبوضوح دور الفرس وفلاسفة العجم في صياغة مذهبهم، ومن يقرأ رسائل أخوان الصفا المنسوبة لأحمد بن عبد الله بن ميمون القداح يجد أن هذه الرسائل أصبحت لدى الفلاسفة

الإسماعيلية : قرآناً بدل القرآن، وصارت قرآن الأمة عندهم، بينما القرآن الكريم قرآن العامة كما يرى ذلك مصطفى غالب في كتابه: الأعلام الإسماعيلية ص 134.

- اعتمادهم على نخبة من الفلاسفة العجم الذين نظروا لفكرهم ودينهم مثل أحمد الكرماني الفارسي، وأبوا يعقوب السجستاني، وأبو حاتم الرازي، ويعقوب بن كلس اليهودي، وهبة الله الشيرازي، ونصير الدين الطوسي، وعن طريق هؤلاء دخلت الكثير من الفلسفات التي تتناقض مع جوهر الإسلام، وظهرت الكثير من الشبه والأفكار الإلحادية، وأصبحوا في نظرهم أعلى مستوى من الأنبياء والرسل، فأصبح عندهم أن الرجل الكامل العالم الخبير المستبصر كما جاء في رسائل إخوان الصفاء: إنما هو الفارسى النسبة، العربي الدين، العراقي الأداب، العبراني المخبر (اليهودي) المسيحي المنهج، الشامي النسك، اليوناني العلوم، الهندي البصيرة، الصفوي السيرة (من كتاب الرسائل، ج2 ص 631).
- أما دور الدعاة العرب في المذهب الإسماعيلي كالقاضي النعمان، و الحامدي وعماد الدين إدريس وغيرهم، فقد توقف عند نقل الأمانة، وأمانة النقل، فكانوا الحفظة الأمناء لتراث الفكر الفارسي واليوناني والهندوسي وغيره.
- أما الأصول الحقيقية لأبرز زعماء الإسماعيلية : فكل مؤسسيها بعداً كل البعد عن نسب آل البيت، ولم يتركوا مجالا لكي يحكم آل البيت، بل انتهت فكرة (الولاية) ولم تعد ركن الدين الأعظم، لأن السلطة صارت بأيديهم. ومن أبرز زعمائهم : حمدان قرمط وأصله من الصائبة الحرانية، وسعيد الجنابي من أصل فارسى، زعيم الحشاشين الحسن الصباح في قلعة (الموت) بفارس، محمد برهان الدين السلطان الحالي للبهرة الداودية فهو وأجداده من نسل الوزير الوثني (تارمل) الذي كان يعكف على عبادة الفيل، وأشهر أئمتهم المحدثين آغا خان وهو من نسل الحسن الصباح سالف الذكر وكان صاحب خيل وغنى، وخلفه حفيده الشاب الأمريكي ليكون إماماً لهذه الطائفة وهو ابن علي خان الشهير.
- درج الإسماعيلية وبالأخص (البهرة) على مزاولة التجارة والحرف الأخرى ذات المردود المادي الوفير حتى يتمكنوا من تسخير هذه الأموال لخدمة مذهبهم وفكرهم.
- وقف أهل اليمن قديماً وحديثاً موقفاً معادياً ومناوئاً لأفكار الإسماعيلية بالفكر والحجة والقلم — كما بينا في المبحث الأخير من هذه الدراسة — والتحذير ودحض شبههم وفضح وسائلهم وأساليبهم في عصرنا الحاضر

ولذا: نرى ومن توصيات هذا البحث أن تنشأ المراكز والمؤسسات الثقافية لمقاومة هذا الفكر ودحضه بالحجة والفكر، على أن تتبنى الدولة اليمنية ذلك ومعها أهل اليسار من أبناء البلد وتتضافر الجهود الشعبية والرسمية حتى لا تكون اليمن منطلقاً لإقامة دولتهم التي يحلمون بها من جديد كما سبق وأن أقاموها في القرون الهجرية الثالث والخامس كما مر معنا.

الهوامش:

(1) لشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم (ت- 548هـ/1153م) الملل والنحل، بهامش كتاب الفصل في الملل والأهواء النحل لإبن حزم الاندلسي (ت/456هـ/1064م)، ج1 ص 131.

2

(3) اتبعنا المراجع الشهيرة في حديثنا عن عبد الله بن سبأ، وفي تصوير الدور الذي قام به بتجميع الشيعة في جماعة بعد أن كانوا أفراداً، وفي إدخال كثير من الانحرافات والضلالات على مذهبهم متحيناً الفرص المختلفة لذلك.

وهو ليست شخصية أسطورية كما يذهب البعض بل أثبتت حقيقة كتب الحديث والتواريخ الموثوقة وأخذ عنه هذه الضلالات مريدون كثر وساروا فيه أزمنة طويلة وأشواطاً واسعة.

ينظر: شلبي، أحمد، موسوعة التاريخ الإسلامي، الدولة الأموية والحركات الفكرية والثورية خلالها، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط التاسعة، 1996م، ص 147.

(4) أحمد أمين، فجر الإسلام، ص 111، أحمد شلبي، مرجع سابق ص 150.

(5) افترقت الشيعة إلى ثمانية عشر فرقة أو أكثر كما يرى المؤرخون، وكتاب الفرق، ينظر السكسكي، عبد الوهاب (ت في القرن التاسع الهجري)، البرهان في العقائد والاديان، ص 36، الشجاع عبد الرحمن عبد الواحد، تاريخ اليمن في الإسلام في القرون الأربعة الهجرية الاولى، الطبعة الرابعة المنقحة 2002م ص 154.

والعدد الأكبر من هذه الفرق من نصيب فرقة الإمامية (إثني عشرية و إسماعيلية) أما الزيدية فقد تعددت فرقها الى: مطرفيه، جارودية، ومخترعة وغيرها. ينظر الشهرستاني، الملل، مصدر سابق ص 144، سالم أحمد محل، وفرست مرعي الدهوكي، الدويلات المستقلة وشبه المستقلة في اليمن (205- 923هـ)، المنتدى الجامعي، صنعاء ط 1، ص 43. الموسوعه الميسرة في الاديان والمذاهب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي الرياض، 1989م، ط 20، ص 47، 201، 393.

(6) أحمد شلبي، مصدر سابق ص 169.

(7) أما أولاد الحسن فيرى أكثر أولاد الحسين إنهم لاحق لهم في الإمامة لأن تنازل أبيهم الحسن لمعاوية عن الخلافة اضاع حقهم.

* التقية: هي تعني إظهار غير ما تبطن، وهي لدى الإسماعيلية والاثني عشرية أحد محاور العقيدة لأن بدونها ستنكشف سوءاتهم فيضطرون إليها ويسترون خلفها حتى عندما يتمكنون ويحكمون. ينظر: علوي الجبل، الشيعة الإسماعيلية رؤية من الداخل، القاهرة، ص 345.

(8) الإسماعيلية حركة اجتماعية فلسفية سياسية معاً، يدعون إيصال نسبهم إلى السيدة فاطمة بنت الرسول صلى الله عليه وسلم والإمام علي، وزعموا أن الإمام بعد جعفر الصادق هو ابنه إسماعيل نصاً عليه، واختلفوا في وفاته في حياة أبيه، فمنهم من قال انه أظهر موته تقية من خلفاء بني العباس، ومنهم من قال إن الموت صحيح ولكن النص لا يرجع القهقرى وان الفائدة من النص بقاء الإمامة في أولاد المنصوص عليه، فالإمام بعد إسماعيل هو محمد بن إسماعيل وذكروا أن الإمامة لا تنتقل من أخ إلى أخيه بعد انتقالها من الحسن إلى الحسين، وخالفوا في ذلك الموسوية الاثني عشرية الذين رأوا أن الإمام بعد جعفر الصادق هو ابنه موسى الكاظم. ينظر: محمد كامل حسين، طائفة الإسماعيلية، المكتبة التاريخية، القاهرة 1959م ص 19- 21، أيمن فؤاد سيد، تاريخ المذاهب الدينية في بلاد اليمن حتى نهاية القرن السادس الهجري، الدار المصرية اللبنانية الطبعة الأولى 1988م ص 91.

(9) ورغم أن إسماعيل توفي قبل أبيه إلا أن أتباعه يعتقدون أن جعفر الصادق عهد بالإمامة إلى ابنه إسماعيل فأخذها عنه ابنه محمد. وأما القرامطة فلها عدة معان أقربها نسبةً إلى حمدان بن قرمط. ينظر: دي خويه، ميكال بان، القرامطة نشأتهم ودولتهم وعلاقتهم بالفاطميين، ترجمة حسني زينة، دار بن خلدون بيروت ط أولى 1978، ص 163. وقال عنهم دي خويه: إنهم يشبهون في طرائقهم ما تفعله الماسونية من تنظيمات سرية. ينظر: إحسان إلهي ظهير، والإسماعيلية. فهو أوسع ما كتب عنهم ينظر حول ما سبق: الشجاع، مصدر سابق ص 162 هامش.

(10) أحمد شلبي مصدر سابق، ص 183.

(11) ينظر الشجاع، مصدر سابق، ص 162، وعلوي طه الجبل، الشيعه الإسماعيلية رؤية من الداخل، دار الأمل القاهرة، ص 288. ويوسف العش، تاريخ عصر الخلافة العباسية، دار الفكر بيروت، ط 2 1996م، ص154.

(12) وهو رجل فارسي كان يعمل بقدح العيون التي أصابها الظلام والغشاوة، وتمرس على الجدل والمناقشة الفلسفية الدينية ليستطيع ان ينشر الدعوة وله ثلاثة أولاد احدهم الملقب أبو الشلعلع

وهو الذي أرسله داعيه للعراق، ، فاتصل بحمدان قرمط، وهو الذي أرسل ابن حوشب الى اليمن لنشر الحركة الإسماعيلية. ينظر: العش مصدر سابق ص 157.

(13) عارف تامر، أربع رسائل اسماعيلية، مكتبة الحياة، بيروت 1978م، ص19.

(14) ينظر: عارف تامر، مصدر سابق، ص66 ؛ احمد شلبى، السياسة في الفكر الاسلامى، مكتبة النهضة المصرية، ط070، 1992م ص 105,104.

(15) ينظر شلبي، مصدر سابق ص 184 ؛ والشجاع ،مصدر سابق ص170 هامش.

(16) كل ما سبق ينظر: دي خويه، القرامطة مصدر سابق ص 139، هذه الأفكار نقلها من كتاب تأويل الزكاة للاسماعيلي جعفر بن منصور اليمن (مخطوط – ليدن رقم ((1)) 2613). وهذا النص منقول بكامله من كتاب (الشجاع سالف الذكر ص 163 لتعذر الحصول على هذا المصدر المخطوط).

(17) ينظر: أيمن سيد، مصدر سابق، ص 95,91، الشجاع، مصدر سابق، ص 164 الموسوعة الميسرة، مصدر سابق، ص 201.

(18) يكون دور الستر والسرية التامة حينما يكون وضعهم في إطار الدعوة لإقامة الدولة، أما دور الكشف والظهور فيكون بعد قيام الدولة. وهنا وبعد قيام دولتهم يصبح أمر الستر والتخفي أمراً لا داعي له.

(19) عرفت بعدن أبين تمييزالها عن (عدن لاعة) الواقعة في الشمال الغربي من اليمن، وعدن أبين هى المدينة المعروفة بعدن العاصمة الاقتصادية لليمن الموحد.والتى لاتحتاج الى تعريف.

(20) الحمادى، محمد بن مالك اليمنى (ت حدود 470ه/1077)، كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة، نشر وتصحيح عزت العطار، القاهرة ص 41. الوصابى، عبد الرحمن بن محمد الحبيشى (783هـ/1380) تاريخ وصاب المسمى: الاعتبارفى التواريخ والاثار، تحقيق عبدالله الحبشى، ط اولى 1979، مركزالدراسات والبحوث، صنعاء ص 23. الشجاع، مصدر سابق، 165.

(21) مصطفى غالب (الدكتور) تاريخ الدعوة الإسماعيلية، دار الاندلس، بيروت. ط الثالثة 1979/، 157/152، نقلا عن: الشجاع مصدر سابق ص165.

(22) الشجاع، مصدر سابق، 166، أيمن سيد، مصدر سابق 92، طه الجبل، مصدر سابق ص 21,323,324 ،العش، مصدر سابق، 157.

(23) نستطيع أن نوجز حقيقة موقف هؤلاء المنشقين عن دراسة فكرة الشيعة الفاطميين، فقد بنيت الحركة الشيعية الفاطمية ضد العقيدة السنية والتطلعات العباسية السياسية، ونمت على فكرة تدميرها - فكونت التنظيم السياسي الديني المعروف (بالدعوة) وانتشر الدعاة في طول الأراضي العباسية وعرضها يقومون بنشاط سياسي وأيديو لوجي ليتمكنوا من القضاء على خلافة العباسيين.

وهكذا أراد الفاطميون بعد تأسيس خلافتهم في شمال أفريقيا أن يتجهوا بنشاطهم شرقاً في محاولة لتدمير الخلافة العباسية، وهذا هو الاعتقاد السائد، ولكن في الواقع لما تبين لبعض الدعاة - الذين كانو في الحقيقة صانعي الحركة – أن الأئمة يقومون بنشاط مستقل ويبعدون عن فكرة مواجهة الخلافة العباسية السنية بدأوا في الانفصال عنهم مكونين طائفة مستقلة هي القرامطة.

وكان على رأس هذه الطائفة داعيتا المهدي وهما حمدان قرمط وعبدان اللذان عارضا فكرة اتجاه المهدي بعيداً عن أراضي الخلافة العباسية، وأرادو أن يدمر الخلافة السنية ليقيم على أنقاضها (المدينة الفاضلة) التي كانوا يحلمون بها.

ووجدوا أيضاً أن حماس الدعوة الأصلية كان حتماً سيفقد وهم بعيدون عن أراضي العباسيين :

ينظر أيمن سيد، مصدر سابق ص96 هامش ويوسف العش، ص208.

- محمد الصباغ، ملخص أخبار القرامطة كما ورد في كتاب ابن الجوزي المنتظم في أخبار الأمم، بغداد 1996م.

جذور حركة القرامطة، محمد عبد المنعم أبو النصر، بغداد 1978م

(24) بتصرف من كتاب الشجاع، مصدر سابق ص 168,166.

(25) مصطفى غالب، تاريخ الدعوه الإسماعيلية ، مصدر سابق، ص 13، الشجاع، مصدر سابق ص 169.

(26) عبد الرحمن الشجاع، تاريخ اليمن في الإسلام، ص 169.

(27) ابن الديبع، عبد الرحمن بن علي (ت 944هـ / 1537م) قرة العيون باخبار اليمن الميمون، تحقيق محمد الأكوع، القاهرة، ج1، ص 196

(28) الحامدي، كنز الولد. نقلاً عن دكتور الشجاع، ص 170مصدر سابق.

(29) فالصلاة. هي الاتصال بالإمام، والصوم : هو كتمان سر الإمام، والحج : هو إقامة الإمام وتأييده، والزكاة : هي معرفة الإمام. ذكر كل ما سبق الحامدي في كتابه كنز الولد في

الصفحات 286و208و287، وكذا عارف تامر ص 57مصدر سابق، واوجز كل ذلك د. الشجاع في كتابه تاريخ اليمن في الإسلام ص 170 هامش، والذي عولنا عليه كثيراً في هذا المبحث لتميزه وأهميته، لذا كان الإكثار من النقولات عنه .

(30) زكاة، سهيل، اخبار القرامطة في الأحساء – الشام – العراق – اليمن – ط. ثانية 1982م. دمشق ص 230,97,33.

(31) د. الشجاع ،مصدر سابق ،ص171. وينظر حول هذا الموضوع بتفصيل اوسع. طه الجبل، مصدر سابق ص359، الى ص366.

(32) ينظر الجندي، بهاء الدين محمد بن يوسف (ت 732هـ / 1331م)، السلوك في طبقات العلماء والملوك، تحقيق الاكوع 1983 م وزارة الإعلام والثقافة، ج1، ص 245. الهمداني حسين فيض الله، الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن صنعاء وزارة الإعلام، ص 49.

(33) يراجع حول هذه المؤلفات : محمد كامل حسين، مقدمة ديوان المؤيد داعي الدعوة، القاهرة، 1949م، ص 7,6، حسن إبراهيم حسن، تاريخ الدولة الفاطمية، القاهرة، 1958، ص 483- 487 مصطفى غالب اعلام الإسماعيلية، بيروت، مصدر سابق، ايمن سيد، مصدر سابق، ص 99.

(34) الصليحيون بضم الصاد وفتح اللام والباء الساكنة نسبة الى قبيلة الأصلوح من بلاد حراز الواقعة غرب صنعاء في الطريق المؤدية بين صنعاء الحديدة، والتي ما زالت حتى يومنا تمثل وكراً من أوكار الشيعة الإسماعيلية في بلاد اليمن، ومزاراً مهماً لأكبر زعمائها.

(35) عمارة اليمني، أبو الحسن علي بن زيدان (ت 569هـ، 1173م) المفيد في أخبار صنعاء وزبيد، والقاهرة، 1957م، نشره حسن سليمان محمود، ص 48.

(36) عمارة اليمني، مصدر سابق، ص 48.

(37) المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي (ت 845/ 1441)، الذهب المسبوك في ذكر من حج من الملوك، تحقيق جمال الدين الشيال، القاهرة، 1955م، ص 65.

(38) عمارة، مصدر سابق، ص 51، سفيان عثمان المقرمي، عمارة اليمني ومنهجه في كتابه : تاريخ اليمن، رسالة ماجستير طور النشر جامعة بغداد، 1996م.

(39) ابن سمرة الجعدي، عمر بن علي (ت 586هـ - 1190م)، طبقات فقهاء اليمن تحقيق فؤاد سيد القاهرة، 1957م، ص 234.هي السيدة الحرة : سيدة بنت أحمد بن محمد بن

جعفر بن موسى الصليحي ، تولت أمر تأديبها السيدة أسماء بنت شهاب زوجة الداعي علي بن محمد الصليحي. كما وصفها الداعي بأنها. . امرأة فاضلة ذات نسك وورع وفضل وكمال عقل. . وعلم يفوق الرجال. ينظر : عمارة اليمني، مصدر سابق ص 60.

(40) الحجة في المصطلح الاسماعيلي تنصرف بوجه عام الى شخصية متميزة على رأس النظام الديني للدعوه وهي وصف لداعي الدعاة المشرف على عموم الدعوة ينظر: ايمن سيد، مصدر سابق ص 151.

(41) تسمت السليمانية البهرية في اليمن سميت المكارمة ثم أصبح يطلق على كل من الدود والسليمانية وهذه النسبة تعود إلى المكرم زوج سيدة بنت احمد. ينظر : علوي طه (الجبل، مصدر سابق، ص 25).

(42) نفس المصدر والصفحة.

(43) ينظر كل ما سبق : طه الجبل مصدر سابق. ص 29.

(44) يراجع البحث المنشور لعبد الله الراشد في مجلة النور اليمنية عدد(56) نقلاً عن مجلة المجتمع الكويتية.

قائمة المصادر والمراجع

- أحمد أمين، فجر الإسلام، ط 2 القاهرة، 1962م
- تامر، عارف، اربع رسائل إسماعيلية، مكتبة الحياة، بيروت 1978م.
- الجبل، علوي طه، الشيعة الإسماعيلية، رؤية من الداخل ، دار الأمل القاهرة (د. ت).
- الجعدي، عمر بن علي بن سمرة (ت586/1190)، طبقات فقهاء اليمن، تحقيق فؤاد سيد.
- الجندي، بهاء الدين محمد بن يوسف (ت 732/1331)، السلوك في طبقات العلماء والملوك، تحقيق الأكوع، 1983م وزارة الإعلام والثقافة، صنعاء.
- حسن إبراهيم حسن، تاريخ الدولة الفاطمية، القاهرة، 1958م.
- الحمادي، محمد بن مالك الحمادي (ت : 470هـ)، كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة، نشر وتصحيح عزت العطار، القاهرة.
- الدهوكي، الدكتور وسالم محل، الدويلات المستقلة في اليمن، المنتدى الجامعي، صنعاء، 2002م.
- إبن الديبع، ضياء الدين عبد الرحمن بن علي (ت 944هـ)، قرة العيون في أخبار اليمن الميمون، تحقيق محمد الأكوع، القاهرة.
- دي خويه، ميكال بان، القرامطة نشأتهم، دولتهم، علاقتهم بالفاطميين، ترجمة وتحقيق حسن زينة، ط .أولى1978م بيروت.
- زكار، سهيل، أخبار القرامطة في الأحساء والشام والعراق واليمن، ط. ثانية، 1982م، دمشق.
- سيد، ايمن فؤاد، تاريخ المذاهب الدينية في اليمن حتى القرن السادس الهجري، الدار المصرية اللبنانية، 1988م.
- الشجاع، عبد الرحمن عبد الواحد، تاريخ اليمن في الإسلام في القرون الأربعة الهجرية ألأولى، الطبعة الرابعة المنقحة، 2002م.
- شلبي، أحمد، موسوعة التاريخ الإسلامي، الدولة الأموية، مكتبة النهضة المصرية القاهرة، ط. 1996,9م.
- شلبي، أحمد، موسوعة الحضارة الإسلامية، ط. 7 1992م.

- الشهر ستاني، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم (ت 548هـ)، الملل والنحل، بهامش كتاب الفصل في الملل والأهواء والنحل لإبن حزم الأندلسي (ت 456هـ).
- العش، يوسف العش، تاريخ عصر الغلافة العباسية، درا الفكر بيروت، ط. 2، 1996م.
- محمد عبد المنعم أبو النصر، جذور حركة القرامطة، بغداد، 1978م.
- محمد كامل حسين، طائفة الإسماعيلية، المكتبة التاريخية، القاهرة، 1959م.
- محمد كامل حسين، مقدمة ديوان المؤيد داعي الدعوة، القاهرة 1949م.
- مصطفى غالب، تاريخ الدعوة الإسماعيلية، بيروت، ط. 3 1979م.
- المقرمي، سفيان عثمان، عمارة اليمني ومنهجه في كتابه تاريخ اليمن، رسالة ماجستير طور النشر، جامعة بغداد، بغداد 1996م.
- المقريزي، تقي الدين احمد بن علي (ت 845هـ)، الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك، تحقيق جمال الدين الشيال، القاهرة 1955م.
- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الرياض، ط.2، 1409هـ / 1989م.
- النور، العدد 56.
- الهمداني، الحسين بن فيض الله، الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن من 268 إلى 626هـ، وزارة الإعلام، صنعاء، د.ت.
- الوصابي، عبد الرحمن بن محمد الحبيشي (ت 783)، تاريخ وصاب المسمى :الإعتبار في التواريخ والآثار، تحقيق الحبشي، ط 1، 1979م، مركز الدراسات والبحوث صنعاء.

اليمني، عمارة بن علي بن زيدان الحكمي (ت 569هـ/ 1173م) تاريخ اليمن المسمى المفيد في أخبار صنعاء وزبيد، القاهرة 1957م نشر حسن سليمان محمود.